Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والناس ربما اجتنبوا السنانير ليدفعوا بها بوائق الفأر فكيف صار خلق الضار من الله. وخلق المنافع من الضرر من خلق الشيطان؟[1]! (٦١ ـ VI، ٩٩).

وكل سخريته موجهة ضد سخافة المعتقد وعدم انسجامه مع العقل: «وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد، وأن الخنزير خلق من سلحة الفيل لأن أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا بكثرة الفأر وشكوا (إلى نوح ذلك) سأل ربه الفرج فأمره أن يأمر الأسد فيعطس، فلما عطس خرج من منخريه زوج سنانير: ذكر وأنثى. الذكر خرج من المنخر الأيمن والأنثى من المنخر الأيسر. فكفياهم مؤونة الجرذان. ولما تأذوا بريح نجوهما شكوا ذلك إلى نوح، وشكا ذلك إلى ربه فأمره أن يأمر الفيل فليسلح، فسلح (زوج) خنازير فكفياهم مؤونة رائحة النجو.. وهذا الحديث نافق عند العوام، وعند بعض القصاص»[2]. (٦١ ـ V، ١٠٦).

ما وظيفة هذه القصة التي ساقها الجاحظ بعد الإخبار عن عادات وطباع القطط؟ فإضافة إلى ما أشار إليه في بداية كتابه عن (أدب الحياة في القصة) يظهر هنا الدور الأساسي وهو السخرية من الجهل.

وهكذا، فإن صفات هذا الأدب الساخر، الهجائي وخصائصه تظهر كأنها (برهان ودليل آتٍ من الصفة العملية وتأكيد أسلوب المنطق والعقل في ذم الصفات غير المقبولة عقلياً في الشخص). وهذه العقلية موجودة

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، جـ VI، ص ٩٩. (الصكاك: الوثائق، الجرب: أوعية زاد المسافر، المسناة: السد).

(٢) الحيوان، جـ V، ص ١٠٦.